الترميز الدولي / ISSN (P) :2710-2653
ISSN (E) :2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 /2019

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٣/١٣
تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٦/٢٠
تاريخ النشر : ٢٠٢٦/٩/٣٠

الامن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم

Security and Peace in Ancient Chinese Political Thought

م.م. فرح أحمد عبد الكريم
Assistant Lecturer Farah Ahmed Abdul-Kareem
جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية
Al-Nahrain University - College of Political Science
farah.ahmad@nahrainuniv.edu.iq

أ.د. أمل هندي كاطع
Prof. Dr. Ammal Hindy Katea
جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية
University of Baghdad - College of Political Science
Ammal.hindy@copolicy.uobaghdad.edu.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals
https://iasj.rdd.eedu.iq/journals/journal/view/229

الملخص

تكتسب دراسة الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم أهمية بالغة، لكونها تُشكل أحد المرتكزات الفكرية المساهمة في تشكيل الرؤية السياسية للصين وتأثيرها الممتد معاصراً، وتنطلق الدراسة من إشكالية مفادها: كيف أسهمت الفلسفات الصينية القديمة في بناء تصور متكامل للأمن والسلام واستقرار المجتمع؟ وتفترض أن الفكر الصيني القديم قدّم نموذجاً متميزاً للأمن يقوم على تكامل الفضيلة الأخلاقية والانسجام المجتمعي والإدارة العقلانية للصراع. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي عبر ثلاثة محاور: تناول الأول التعاليم الكونفوشيوسية ودور الحكم الرشيد والثقة السياسية، وبحث الثاني الفلسفتين الطاوية والبوذية وأثرهما في تحقيق الانسجام واللاعنف، فيما ركز الثالث على الفلسفة العسكرية لـ (صن تزو) واستراتيجية إدارة الصراع بأقل التكاليف، وتوصلت الدراسة إلى أن الأمن والسلام الصيني القديم لم يرتكزا على القوة العسكرية فحسب، بل على منظومة متكاملة تجمع الأخلاق والانسجام والحكمة الاستراتيجية، مما جعل هذا التراث رافداً أساسياً للرؤية الصينية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: أمن، بوذية، فكر سياسي، سلام، صن تزو، طاوية، كنفوشيوسية

Abstract:

This study examines security and peace in ancient Chinese political thought, highlighting its foundational role in shaping China's political vision and its enduring contemporary impact. The research addresses a primary problem: How did ancient Chinese philosophies contribute to constructing an integrated conception of security and peace? It hypothesizes that ancient Chinese thought offered a unique security model combining moral virtue, societal harmony, and rational conflict management. Using an analytical methodology, the

study covers three themes: Confucian teachings on good governance and political trust; Taoist and Buddhist philosophies emphasizing harmony and non-violence; and Sun Tzu's military philosophy focusing on low-cost strategic management. The study concludes that ancient Chinese security relied not solely on military force, but on an integrated framework combining ethics, harmony, and strategic wisdom, serving as a primary pillar for contemporary Chinese security views.
Keywords: Buddhism, Confucianism, Peace, Security, Strategic Thought, Sun Tzu, Taoism**.**

المقدمة

١- نظرة عامة عن موضوع البحث:

يُعد الأمن والسلام من المفاهيم المحورية في الفكر السياسي الصيني القديم، إذ تبلورت هذه المفاهيم عبر رؤى فلسفية وتعاليم دينية وموروث فكري متميز، لاسيما في الكونفوشيوسية، الطاوية، والبوذية، إلى جانب التراث الفكري العسكري، وقد قدم كل اتجاه من هذه الاتجاهات رؤى مختلفة لكنها متداخلة حول كيفية تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي وإدارة النزاعات بطرق تعزز السلام الدائم، كما لعب الفكر العسكري، المتمثل في كتاب فن الحرب لـ (صن تزو)، دوراً مهماً في صياغة الفلسفة الأمنية للصين وتشكيل الرؤية الصينية المعاصرة، ومن هذا المنطلق، يقع هذا البحث في ثلاثة محاور رئيسة: يتناول المحور الأول الأمن والسلام في التعاليم الكونفوشيوسية، ويختص المحور الثاني بدراسة الأمن والسلام في الفلسفتين الطاوية والبوذية، فيما يُركز المحور الثالث على الفلسفة العسكرية لـ (صن تزو) وأبعادها الاستراتيجية.

أهمية البحث: تنبع من تناوله أحد الموضوعات المحورية في الفكر السياسي، والمتمثل في كشف الأسس الفلسفية والأخلاقية التي قدمتها المدارس الصينية القديمة لمعالجة قضايا الاستقرار والنظام الاجتماعي وإدارة الصراع، وتزداد هذه الأهمية في ظل تنامي الدور الصيني في النظام الدولي المعاصر، مما يجعل فهم الجذور الفكرية للرؤية الصينية للأمن والسلام ضرورة علمية لفهم الفكر السياسي للصين المعاصرة وإثراء حقل الفكر السياسي.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تفكيك الرؤى الفلسفية والدينية والعسكرية للفكر الصيني القديم، وبيان كيف تكاملت الفضيلة الأخلاقية مع الحكمة الاستراتيجية لتأسيس نموذج أمني شامل يتجاوز البعد العسكري التقليدي.

مشكلة البحث: تتمثل المشكلة في التساؤل الرئيس الآتي: كيف أسهمت المدارس الفلسفية والدينية والعسكرية في الفكر السياسي الصيني القديم في صياغة تصور متكامل للأمن والسلام؟ وما طبيعة العلاقة بين الأخلاق والسلطة والاستراتيجية في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي؟

الفرضية: يفترض البحث أن: الفكر السياسي الصيني القديم قد أسس نموذجاً متميزاً للأمن والسلام يقوم على تكامل الفضيلة الأخلاقية، والانسجام الاجتماعي، والتوازن الطبيعي، والإدارة الاستراتيجية للصراع، بما يجعل الأمن حالة شاملة تتجاوز البعد العسكري التقليدي.

المنهجية: اعتمدت الدراسة على المناهج الآتية:

أ. المدخل التاريخي: لتتبع الجذور الفكرية لمفاهيم الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم، والكشف عن تطورها في سياقاتها الحضارية والفلسفية.

ب. المنهج الوصفي: لتحليل المضامين الفكرية للنصوص الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية والفلسفة العسكرية لـ (صن تزو)، وبيان أسسها النظرية وانعكاساتها السياسية.

ت. المنهج المقارن: للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الرؤى الصينية القديمة وبعض الأطروحات الفلسفية الغربية عند الحاجة، لإبراز خصوصية النموذج الصيني.

٦- الدراسات السابقة: تعد قضية الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني من الموضوعات المحورية التي تناولت أدبياتها الفكر السياسي والأصول العقائدية للصين، ومن أبرز الدراسات السابقة التي اقتربت من موضوع البحث:

أ. **دراسة (الجبوري، ٢٠٢١)** بعنوان الفكر السياسي الصيني المعاصر: دراسة في أبرز الاتجاهات الفكرية: تناولت هذه الدراسة التحولات والتغيرات في الفكر السياسي الصيني المعاصر، وتتبعت أصوله العقائدية المتمثلة في الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية بوصفها الأرضية الفكرية لتجانس المجتمع والرفاهية والسلام الإنساني، فضلاً عن الماركسية الصينية والليبرالية، وركزت الدراسة على الامتداد المعاصر للأصول الفكرية القديمة وتطبيقاتها السياسية.

ب. **دراسة (الجبوري، ٢٠٢٣)** بعنوان نقد الفكر السياسي عند كونفوشيوس: كتاب المحاورات أنموذجاً: ركزت الدراسة على نقد الأطروحات السياسية للكونفوشيوسية من خلال كتاب المحاورات، وبينت أن الفكر السياسي عند كونفوشيوس كان أخلاقياً في

جوهره ينحاز للفضيلة والمثل، وأن الشعب والأسرة هما أصل السلطة والدولة، واقتصرت الدراسة على البعد النقدي للكونفوشيوسية دون الشمول لجميع الفلسفات الصينية القديمة أو الفكر العسكري .

موقع الدراسة الحالية وما تميزت به :تتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بتقديمها نموذجاً تحليلياً تركيبياً شاملاً يربط بين ثلاثة أبعاد رئيسة (البعد الأخلاقي الكونفوشيوسي، والبعد الروحي الطاوي والبوذي، والبعد الاستراتيجي العسكري (لصن تزو)، للوصول إلى كيفية صياغة الفكر السياسي الصيني القديم لمفهوم متكامل للأمن والسلام يجمع بين الأخلاق والانسجام والحكمة الاستراتيجية، ولتبيان أثر هذا التكامل في صياغة رؤية الصين المعاصرة للأمن والسلام.

المحور الأول: الامن والسلام في تعاليم الكونفوشيوسية

منذ آلاف السنين شغلت مسألة الأمن والسلام الإنساني عقول الفلاسفة وظلت تبحث عن صيغة تضمن بقاء المجتمعات بعيداً عن الفوضى والصراعات وفي هذا السياق، تبرز التعاليم الكونفوشيوسية كواحدة من الأطروحات الفكرية التي قاربت مفاهيم الأمن والسلام من منظور خاص ومتميز، غير أن فهم هذه الرؤية يتطلب الغوص في أبعادها الفكرية والسياسية لمعرفة كيف صاغت هذه التعاليم مفهومها الخاص للأمن والسلام وما هي الركائز التي اعتبرتها أساساً لتحقيق السلام بين الأفراد والدول، وعليه سنتناول الآتي :

اولا: الكونفوشيوسية:

وهي مجموعة من المعتقدات والمبادئ في الفلسفة الصينية طورت عن طريق تعاليم كونفوشيوس(٥٥١ ق.م – ٤٧٩ ق.م)، وهي تعبر عن نظرة شاملة إلى العالم، وجملة

أخلاقيات اجتماعية، وأيديولوجية سياسية، وتقليد عالمي (The New Encyclopaedia Britannica, 1988, p. 653)، ذات ابعاد فلسفية واجتماعية وسياسية بغية بناء مجتمع متماسك، تسود فيه مظاهر العقلانية والمبادئ السامية والأخلاق القويمة، وبذلك تصبح رسالة كونفوشيوس ذات أثر عملي في بناء بلد مزدهر وشعب سعيد (Yu, 2007,p. 12)، وهي أسلوب حياة ويُنظر إلى الكونفوشيوسية أحياناً على أنها فلسفة وأحياناً كدين، وقد تفهم على أنها رؤية إنسانية شاملة لا تنكر السماء ولا تهينها، وأن القيم الأخلاقية الكونفوشيوسية كانت منذ أكثر منذ ٢٠٠٠ عام بمثابة مصدر إلهام للامة، على الرغم من أن الكونفوشيوسية غالباً ما يتم تجميعها مع البوذيين والمسيحية والهندوسية والإسلام واليهودية والطاوية كدين تاريخي رئيس، إلا أنها ليست ديانة منظمة، ومع ذلك، فقد كان لها تأثير عميق على الثقافة السياسية في شرق آسيا، وكذلك على الحياة الروحية في شرق آسيا سواء أكان من الناحية النظرية أم العملية وفي معنى قريب أن الكونفوشيوسية ليست منظومة دينية، أو فكر ديني مثل سائر الأفكار الدينية أنها بمقام فكر موسوعي لا يخلو من الدين ولا يخلو من الفكر الدنيوي، أتى بما يتلاءم مع تطلعات الأنسان تبعاً للظروف التي كانت سائدة في الصين يوم ذاك (ناي وآخرون، ٢٠١٨، ص. ٥٨) ، وتتجلى العظمة التاريخية لمؤسسها (كونفوشيوس) في أنه المؤثر الأول والأساس في ذهن وفكر وتقاليد الشعب الصيني وسكان شرق آسيا، إذ اتسم فكره بمرونة وقوة استثنائية جعلته يصمد على مدار خمسة وعشرين قرناً أمام مختلف التحولات، ليظل تراثه حياً ومؤثراً (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٥٤-١٥٩)، وقد وُلِد كونفوشيوس عام ٥٥١ ق.م في إمارة (لو) ونشأ في أسرة نبيلة عانت من الفقر. وهذا التناقض بين عراقة أصله وواقع عيشه وجّه إنتاجه الفكري متأثراً بالأوضاع السياسية المتردية في حِقبة الربيع

والخريف (٧٢٢-٤٨١ ق.م)، والتي تميزت بالحروب والانقسامات، ومن ثم قدّم كونفوشيوس نموذجاً إصلاحياً عملياً يقوم على أن إعادة الاستقرار وإقامة نظام اجتماعي وسياسي آمن يعتمد بالدرجة الأولى على التمسك الواعي بالتقاليد والأخلاق الفاضلة والمشاركة الإيجابية في الحياة العامة.(عبد الحي، ١٩٩٩، ص١٥٩)

ثانيا: مفهوم الامن والسلام في تعاليم كونفوشيوس :

يتم بناء فلسفة الامن والسلام عند الكونفوشيوسية على الأسس الاتية:

١. الامن الداخلي (الشخصي والمجتمعي): في تعاليم كونفوشيوس، يُعتبر الأمن الداخلي أساسًا لتحقيق الاستقرار الشخصي والمجتمعي بدلاً من الاعتماد على القوانين الصارمة، ركز كونفوشيوس على أخلاق الفرد كعنصر رئيسي في بناء مجتمع متماسك وآمن (Tsai, 2005, p. 163)، إذ يرى أن الأمن يستند إلى الثقة والفضيلة لا إلى القوة العسكرية، وفي هذا السياق يقول: "لا بد للحكومة من أن تحقق أموراً ثلاثة، أن يكون لدى الناس كفايتهم من الطعام، وكفايتهم من العتاد الحربي، ومن الثقة بحكامهم. فإذا كان الإستغناء عن أحد هذه الشروط، يجب أن تتخلى الحكومة عن العتاد الحربي" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٨٦)، كما يؤكد أن سلطة القدوة الأخلاقية تغني عن العقوبات القاسية والترهيب، متسائلاً: "ما الداعي إلى القتل إذا كان الحاكم يقود البلاد بفعل الخيرات والصالحات" (تسنغ قوة شيانغ، ٢٠١٧، ص. ١٢٢)، ويتحدث (كونفوشيوس) عن كيفية التعامل مع الآخرين على وفق مبادئ اخلاقية سامية, منها الامانة, البر, الاعتدال والوسطية, الاقتصاد في كل أفعال النفس، إشاعة المحبة للإنسان والطبيعة ولكل ما هو حي (Tsai, 2005, p. 163)، ووفقًا لكونفوشيوس، يجب أن يتحلى الفرد بمبادئ مثل (الإنسانية /جين)، التي تمثل القدرة على التعاطف والاحترام تجاه الآخرين. حيث يرتكز

(الجين) على تنمية قدرات الفرد وبناء الإنسان عن طريق يقظه ضميره (كولر، ١٩٩٥، ص. ٣٣٦)، وهو الذي يجعل البشر أكثر إنسانية, بالتالي تركز الكونفوشيوسية على أهمية تحقيق الفضائل الفردية مثل الصدق، والنزاهة، والاحترام، حيث يُعتبر كل فرد مسؤولًا عن تصرفاته تجاه نفسه وأسرته والمجتمع ككل. عندما يتحلى الأفراد بتلك القيم، ينعكس ذلك إيجابًا على الأسر، مما يساهم في بناء مجتمع متوازن ومتعاون (الصعيدي، ٢٠٢٠، ص. ٣٧)، وبهذا الشكل، يتحقق الأمن الداخلي من خلال التزام الأفراد بالمبادئ الأخلاقية التي تؤدي إلى استقرار العلاقات الاجتماعية وتعزيز السلم الداخلي، مما ينعكس بدوره على الاستقرار المجتمعي ككل.

٢. النظام الأسري : في الفكر الكونفوشيوسي، يُعتبر النظام الأسري نواة أساسية لتحقيق الأمن والسلام في المجتمع, ويرى كونفوشيوس أن الأسرة هي الخلية الأولى التي تبني الأخلاق والقيم التي ستنتقل إلى المجتمع ككل, ونطلق هذا التصور من فكرة أن الأسرة هي مكان تعليم الأفراد على الفضائل الأساسية مثل الاحترام، والصدق، والولاء، والعدالة، وهذه القيم تشكل الأساس لبناء مجتمع مستقر, وهنا يقول (كونفوشيوس) "إذا أمكنك أن تجعل الأخوة يتعايشون في انسجام، فيمكنك بعد ذلك تعليم أفراد الدولة التعايش في انسجام"(تسنغ قوه شيانغ، ٢٠١٧، ص. ١٠٢).

ان التركيز على الروابط الأسرية يعزز من الانسجام الداخلي بين الأفراد، مما يساهم في تقليل النزاعات وتعزيز التعاون. ومن خلال التزام الأفراد بالواجبات الأسرية، مثل احترام الأبوين (البِر)، والحفاظ على التوازن بين الحقوق والواجبات، يتم تعزيز الثقة بين أفراد الأسرة، ما ينعكس بشكل إيجابي على المجتمع، ولتوضيح هذا التناغم والانسجام داخل البيت، جاء في أقواله: "عندما تعود الألفة بين الزوج والأولاد والزوجة فما أشبه

المنزل بربابة وعود قد تألفت أنغامهما! وعندما يعيش الأخوة في تألف وسلام فعينئذ يظل المنزل إلى الأبد في وحدة وانسجام" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص.١٧٩)، لذلك، اعتبر استقرار الأسرة أحد الأسس التي يبنى عليها استقرار المجتمع ككل، مما يؤدي إلى تحقيق الأمن والسلام المجتمعي (تسنغ قوه شيانغ، ٢٠١٧، ص ١٠٥-١٠٢).

ويمكن القول أن مفهوم النظام الأسري في الفكر الكونفوشيوسي لا يقتصر فقط على بناء الأفراد الأخلاقيين، بل يشمل أيضًا مفهوم التراتبية أو الترتيب في العلاقات الأسرية إذ يشدد كونفوشيوس على أهمية احترام الأدوار داخل الأسرة، مثل احترام الأبناء لآبائهم والأزواج لزوجاتهم , وتعزيز مبدأ الاحترام العميق والطاعة والتقديس للوالدين، والأخ الأكبر، والمعلم، وكبار السن، حتى تصل إلى احترام الحاكم وطاعته (Rainey, 2010, p. 24)، ويؤكد ذلك مبدأ (هيساو) أو طاعة الأبناء، وهو باختصار يعني توقير العائلة واحترامها، بمعنى ابلغ، تبجيل الابوين، وطاعة الابناء للأباء، لأن في هذه الطاعة بحسب الموروث الكونفوشيوسي تكمن الفضيلة، ويجب أن يمتد هذا إلى الرؤساء والحاكم (Rainey, 2010, p. 29)، الأمر الذي يعزز النظام والتناغم داخل الأسرة ويحولها إلى بيئة تحقق السلام الداخلي، وفي ذات الصدد يرى كونفوشيوس أن الأسرة المستقرة تساهم في استقرار الدولة، حيث إن الأفراد الذين نشأوا في بيئة تحترم القيم الأخلاقية ويتعلمون الانضباط والتعاون في أسرهم يكونون أكثر قدرة على المشاركة في بناء مجتمع عادل وآمن، بهذا الشكل، يكون النظام الأسري حجر الزاوية الذي يؤدي إلى تحقيق السلم الاجتماعي، ويعزز مفهوم الانسجام في الحياة اليومية على كافة الأصعدة (تسنغ قوه شيانغ، ٢٠١٧، ص١٠٨).

٣. السلام الاجتماعي: السلام الاجتماعي في الفكر الكونفوشيوسي هو حالة من الانسجام والتوازن بين أفراد المجتمع، حيث يتعاون الجميع لتحقيق مصلحة مشتركة قائمة على احترام القيم الأخلاقية والعدالة. يعتقد كونفوشيوس أن السلام لا يتحقق إلا عندما يلتزم الأفراد بمبادئ أخلاقية واضحة تتضمن التزام الفرد بالاحترام والاعتراف بالأدوار الاجتماعية والتراتبية، مثل الاحترام المتبادل بين الأجيال والأدوار في الأسرة والمجتمع, وهذا التوازن الاجتماعي الشامل هو ما يقود في النهاية إلى فكرة السلام العالمي، إذ قال: "إذا ساد المبدأ الأعظم (مبدأ التماثل الأعظم)، أصبح العالم كلّه جمهورية واحدة؛ واختار الناس لحكمهم ذوي المواهب والفضائل والكفايات؛ وأخذوا يتحدثون عن الحكومة المخلصة، ويعملون على نشر ألوية السلام الشاملة" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٩١)، ومن خلال مراعاة هذه القيم، يمكن تحقيق النظام الاجتماعي، حيث يُحترم كل فرد مكانه وتُسهم الآداب في تقليل التوترات والنزاعات ما يساهم في بناء مجتمع مستقر وخالٍ من الصراعات (الصعيدي، ٢٠٢٠، ص،٤٠).

إضافة إلى ما تم ذكره، يمكن القول أن السلام الاجتماعي في الفكر الكونفوشيوسي لا يعتمد فقط على الالتزام بالقيم الأخلاقية، بل أيضًا على الموازنة بين الفرد والمجتمع, فالكونفوشيوسية تؤمن بأن الفرد يجب أن يسعى لتحقيق الخير الأكبر من خلال التفاعل البناء مع محيطه، واعتبار المصلحة العامة جزءًا من تطوره الشخصي، كما أن السلام الاجتماعي في هذا السياق يتطلب أن يكون لكل فرد دور في الحفاظ على توازن المجتمع، ولذلك شدد كونفوشيوس على أهمية العمل الجماعي والاحترام المتبادل بين الأفراد لبناء بيئة اجتماعية لا تعرف الفوضى أو النزاع، من خلال هذه الرؤية، يصبح السلام الاجتماعي قيمة لا تتحقق فقط عبر القوانين، بل من خلال تعزيز الوعي الفردي

والجماعي بالمسؤولية الأخلاقية تجاه الآخرين(الصعيدي، ٢٠٢٠، ص. ١٦٤)، بالتالي، يُعد السلام الاجتماعي في الفكر الكونفوشيوسي نتاجًا للالتزام بالمبادئ الأخلاقية ويعكس دور الفرد في إحداث التغيير الاجتماعي بشكل إيجابي مع المحافظة على التناغم الداخلي بين الأفراد.

٤. **الأمن السياسي:** في الفكر الكونفوشيوسي، يُعتبر الحاكم الشخص المسؤول عن تحقيق الأمن السياسي من خلال التوازن بين القوة والفضيلة حيث يرى كونفوشيوس أن الحاكم يجب أن يكون قائدًا حكيمًا يتسم بالفضائل الأخلاقية مثل العدالة، والتواضع، والإنصاف، والاحترام(عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٨٢-١٨٤، وكتطبيق معاصر لهذه الفلسفة فأن الهوية الفكرية توجه سياسات الصين(مكي وصالح،٢٠٢٥،ص٢٥٠)، وعليه ان القوة وحدها لا تكفي لضمان الاستقرار السياسي؛ بل يجب أن تكون مصحوبة بحكمة وفضيلة لتوجيه الشعب نحو السلوك الصحيح وتحقيق الأمن، والحاكم الذي يمتلك الفضائل قادر على كسب ولاء الشعب وقيادتهم دون الحاجة إلى القسوة أو القوانين الصارمة (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٨٢-١٨٤) أما العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الفكر الكونفوشيوسي فهي مبنية على الاحترام المتبادل, ويجب على الحاكم أن يُظهر قدوة حسنة لشعبه من خلال تصرفاته الأخلاقية، بينما يجب على الشعب أن يلتزم بالقيم الأخلاقية ويؤدي واجباته تجاه الحاكم والمجتمع. عندما يلتزم الشعب بالقيم الكونفوشيوسية، مثل احترام النظام والواجبات الأسرية والاجتماعية، يتحقق السلام الداخلي وبالتالي الأمن السياسي بشكل عام، يضمن الحاكم الأمن السياسي من خلال قيادة حكيمة تقوم على الفضيلة، بينما يحقق الشعب السلام من خلال التزامه بالقيم الأخلاقية والالتزام بنظام الدولة (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٨٦-١٨٨).

٥. **السلام كمبدأ كوني** : في الفكر الكونفوشيوسي، يُعتبر السلام مبدأ كونيًا يشمل جميع جوانب الحياة البشرية، من العلاقات الفردية إلى التنظيمات الاجتماعية والدولة, ويعكس السلام في هذا السياق التوازن الداخلي والتناغم بين الفرد والمجتمع، وبين الأفراد أنفسهم وبينهم وبين الدولة, اذ يعتبر الكونفوشيوسيون أن السلام لا يتحقق فقط من خلال غياب الصراع أو العنف والوصول الى الاعتدال الذي يوضح مبدأ عدم التوسع، ولكن ايضا استقرار القيم الأخلاقية والانضباط الداخلي هو لذي يعزز الانسجام في العلاقات الاجتماعية والسياسية (الثقافة الصينية التقليدية، ٢٠١٨، ص. ٦٥)، فضلا عما تقدم تنطلق فلسفة السلام الكونفوشيوسي من فكرة اساسية اخرى وهي أن الإنسان يجب أن يكون في انسجام مع نفسه ومع الآخرين من خلال اتباع القيم الأخلاقية السامية مثل العدالة (Yi)، والإنسانية (jen)، والآداب (Li) (وزيرن وفان لون، ٢٠٠٣، ص. ١١٨)، وهذه القيم لا تقتصر فقط على العلاقات بين الأفراد بل تمتد أيضًا إلى علاقة الإنسان بالطبيعة، مما يعزز مفهوم التناغم الكوني، وعليه، فإن السلام لا يتحقق إلا عندما يعيش الأفراد في انسجام تام مع هذه القيم، مما يساهم في استقرار المجتمع والدولة (طه، ٢٠١٧، ص. ١٥٩).

وفي ذات السياق وعند الحديث عن التناغم بين الأفراد والدولة، يرى كونفوشيوس أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم يجب أن تقوم على الاحترام المتبادل والتزام الفضيلة، فالحاكم الذي يمتلك الفضائل يمكنه أن يقود شعبه بحكمة، مما يخلق بيئة من الاستقرار السياسي والاجتماعي، في المقابل، يجب على الشعب أن يلتزم بالقيم الكونفوشيوسية من أجل الحفاظ على النظام والانسجام في المجتمع، كما أن التناغم بين الأفراد والدولة يتطلب دورًا مشتركًا، حيث يسعى الأفراد لتحقيق الخير العام عبر التزامهم بالأخلاق والقيم الأساسية،

في حين يسعى الحاكم إلى تعزيز هذه القيم وتوجيه المجتمع نحو السلام والازدهار (يوي دان، ٢٠١٧، ص. ١٧-١٩)، وأن الازدهار الحقيقي لا يتحقق إلا في ظل بيئة يسودها السلام والثقة، وهو ما يؤكده كونفوشيوس عندما يرى أن السلام لا يتحقق بقوة السلاح ولا بكثرة الطعام، بل يتحقق عندما يثق الشعب بحاكمه ودولته؛ فالدولة التي تمتلك السلاح دون أن تحظى بثقة شعبها، تزرع الخوف لا السلام، والتي تملك الطعام دون ثقة، تعيش في قلق دائم، وتفتقر إلى الاستقرار، أما الثقة، فهي الركيزة الأهم، وهي التي يمنحها الحاكم لشعبه من خلال العدل والصدق والحرص على مصلحة الجميع فالحاكم ليس من يحمي الحدود ويوفر الموارد فقط، بل هو من يغرس في قلوب الناس شعور الأمان والانتماء، ومن هنا، يؤكد كونفوشيوس أن السلام يبدأ من داخل النفوس، من شعور المواطن بالثقة في حاكمه وعدالة دولته، فإذا وُجدت هذه الثقة، صبر الناس على الشدائد، وإذا فُقدت، انهار كل شيء، مهما توفرت الوسائل المادية، فالحاكم العادل هو أساس السلام، والثقة التي يمنحها لشعبه أثمن من الطعام والسلاح (يوي دان، ٢٠١٧، ص. ١٧-١٩)، وبذلك تؤمن الكونفوشيوسية تؤمن بأن السلام الكوني يتمثل في انسجام الفرد مع المجتمع والدولة من خلال الالتزام بالقيم الأخلاقية التي تعزز العدالة، والاحترام، والتناغم بين مختلف فئات المجتمع ذلك من خلال هذا الانسجام، يمكن بناء مجتمع مستقر خالٍ من الصراعات الداخلية، مما يساهم في تحقيق السلام الشامل.

وعند النظر في المرتكزات الفلسفية التي أقام عليها (كونفوشيوس) رؤيته للأمن والسلام يتبين أنها لا تعيش في عزلة فكرية عن نتاج الحضارات الإنسانية الأخرى في العصور القديمة، إذ يبرز قاسم فكري مشترك بين الأطروحة الكونفوشيوسية في الشرق الأقصى، وبين الأطروحة اليونانية الكلاسيكية في الغرب وتحديداً خلال الحقبة الزمانية

المتقاربة عند (أفلاطون) و(أرسطو) فكرياً (Brown, 2022, pp. 214–220)، ويتركز هذا الالتقاء كون الأمن والسلام لا ينبعان من القوة العسكرية بل يتأسسان على أخلاقية السلطة، وعدالة النظام الداخلي، والانسجام الوظيفي للمجتمع (Bell, 2020, pp. 78–86)، ويركز (أفلاطون) في كتاب (الجمهورية) على أن أمن الدولة واستقرارها السياسي هو مرهون بطبيعة القائم على رأس السلطة، كما ذكرنا سلفا في الفكر الكونفوشيوسي يظهر الحاكم كقدوة أخلاقية يملك الفضيلة حيث تُبنى شرعيته وأمن دولته على الثقة المتبادلة والعدل والصدق، وليس بالقوانين الصارمة أو القسوة لعسكرية Plato, trans. Reeve, 2022, Book IV; Brown, 2022, pp. 223–226)

وهنا نجد تقارباً مع (أفلاطون) الذي يرى أن السلام والاستقرار في المدينة الفاضلة لن يتحققا إلا عندما يحكم الفيلسوف أو يصبح الحكام فلاسفة، فالحاكم الفيلسوف عند أفلاطون كالحاكم الفاضل عند كونفوشيوس هو الذي يتجاوز المصالح الذاتية، ويقود المجتمع بدافع الحكمة والفضيلة الأخلاقية المعرفية،

مما يقي الدولة من الصراعات الداخلية ويحقق لها الأمن الدائم (Kraut, 1992, pp. 311–337).

كذاك يرتكز أفلاطون على مفهوم العدالة بوصفها ركيزة الأمن فالعدالة الأفلاطونية تقوم على انسجام طبقات المجتمع الثلاث (الحكام، الحراس، المنتجين) والتزام كل فرد ووظيفة بحدودها الطبيعية دون التعدي على أدوار الآخرين (Plato, 1997, pp. 1127–1129).

أما عند (أرسطو) فإن الأمن والسلام يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالاستقرار الدستوري وسيادة الطبقة الوسطى التي تضمن التوازن وتمنع الثورات والاضطرابات (Aristotle, 2013, pp. 1295b–1296b).

والجامع هنا بين الشرق والغرب هو أن الأمن ينظر إليه كحالة انسجام وتوازن داخلي يلتزم فيها الأفراد بالقيم الأخلاقية والواجبات قبل المطالبة بالحقوق.

فضلا عن ذلك نجد أن أفلاطون في الغرب يؤسس لنظرة مؤسسية صارمة اذ يرى السلاح له وظيفة وحيدة وهي حماية الدولة بشرط أن تنفرد به طبقة (الحراس) المؤهلين فكرياً وبدنياً، محذراً مع الفكر الصيني القديم من جعل الحرب غاية للدولة، بل هي وسيلة اضطرارية للدفاع وتحقيق السلام الدائم منتقداً النماذج العسكرية كـ (اسبرطة) التي تشبه النماذج الطاغية المعتمدة على السلاح وحده دون الفضيلة في الشرق.

من جانب أخر يرى (أرسطو) في كتابه (السياسة) أن إعداد الدولة وتوجيهها نحو الحرب والتوسع العسكري فقط هو خطأ استراتيجي يقود إلى انهيار الأمن الداخلي على المدى الطويل مستشهداً بسقوط دولة (إسبرطة) العسكرية التي برعت في الحرب وفشلت في الحفاظ على استقرارها وقت السلم.

وبذلك يلتقي أرسطو مع كونفوشيوس في أن غاية الدولة الأسمى هي العيش الصالح والمشترك في سياق من السلم الدائم، وأن أدوات الاستقرار الحقيقية هي التعليم الفاضل، وغرس القيم، وتحقيق العدالة الاجتماعية (مهدي،٢٠١٧، ص. ٥٤٧).

تأسيساً على ما تقدم، نجد أن الفكر الصيني القديم ممثلاً بالكونفوشيوسية، والفكر الغربي القديم ممثلاً بالفلسفة اليونانية ورغم تباعد الجغرافيا قد اجتمعا على صياغة الأمن الأخلاقي والمجتمعي العادل وكلاهما حذّر من الاعتماد على القوة العسكرية كوسيلة

للأمن ونقلا المفهوم من حيزه المادي الضيق الى فضائه الإنساني والسياسي الرحب (الفضيلة، العدالة، الثقة، والانسجام) مما يثبت أن جذور الفكر السياسي الإنساني كانت تتلمس معايير حقيقية للأمن والسلام.

مما يثبت أن جذور الفكر السياسي الإنساني كانت تتلمس معايير حقيقية للأمن والسلام .وعلى عكس هذه الفلسفات الكلاسيكية التي ربطت الاستقرار بالأخلاق، يرى الفكر السياسي الحديث –كما في الإسهامات اللينينية– أن استقرار الأنظمة يتأتى من خلال تكييف النظرية الأيديولوجية مع الواقع التطبيقي لبناء الدولة (عزيز، ٢٠٢٥، ص ٥٦).

المحور الثاني: الامن والسلام في الفلسفة الطاوية والبوذية

تُعد الفلسفتان الطاوية والبوذية من أبرز الروافد الفكرية والروحية في الصين التي قدمت رؤية عميقة ومتميزة لمفهوم الأمن والسلام، وعليه سنتناول الآتي:

اولا: الامن والسلام في الفلسفة الطاوية:

تَعد الطاوية الرافِّد الثاني في تكوين الفكر السياسي الصيني القديم، إذ تُقدم الطاوية مقاربة فريدة لفهم الأمن والسلام، تختلف عن النماذج التقليدية التي تركز على القوة العسكرية أو الإجراءات القسرية، وتساهم بشكل كبير في تشكيل رؤى فلسفية تتعلق بالأمن والسلام، ولفهم الطاوية وأهميتها في هذا السياق، من الضروري التعمق في ماهيتها وأبرز مبادئها، و كيفية انعكاس هذه المبادئ على تصورات الأمن والسلام في الفلسفة السياسية الصينية، وعليه سنتناول الاتي:

١- ماهية الطاوية:

احتَلت الطاوية او الَداوية مكانة عَميقة جداً في البنية الفكرَية الصينية، إذ تعَّد الطاوية واحدة من أبرز مدارس الصين الفلسفية في تاريخ الصين (الطعان وآخرون، ٢٠١٥، ص. ١١٩)، وتُعرّف الطاوية بوصفها مذهبًا فكريًا صينيًا يقوم على الانسجام مع قوانين الكون، ويحث على البساطة والتأمل كطريق لتحقيق السلام الداخلي, وفي هذا السياق يوضح (عمر عبد الحي) أن الطاوية مذهب فكري صيني قديم يتركز حول مفهوم (الطاو) الذي يُفهم على أنه المسار الطبيعي الذي يسير عليه الكون, ونشأت هذه الفلسفة على يد المفكر (لاو تزو) الذي دعا إلى التعايش مع قوانين الطبيعة من دون مقاومة، وإلى حياة تقوم على التأمل والبساطة وترك التكلّف, وتسعى الطاوية إلى تحقيق السلام الداخلي من خلال الانسجام مع حركة الكون والابتعاد عن الرغبات الشخصية والضغوط الخارجية، مما يمنح الإنسان حرية روحية وفهمًا أعمق للحياة (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٦٧).

ونشأت هذه الفلسفة على يد الحكيم والمفكر الصيني (لاو تزو)؛ وهو صاحب الكتاب الشهير (طاو تي تشينغ)، عاش لاو تزو في القرن السادس قبل الميلاد معاصراً لـ (كونفوشيوس)، وفي حِقبة تاريخية بسياسية معقدة من تاريخ الصين القديمة لعبت فيها الطبقات الإقطاعية والنبيلة دوراً كبيراً في إشاعة الصراعات، وقد أثرت هذه الظروف على إنتاجه الفكري؛ فاتجه نحو صياغة فكر يرتكز على التراث الصيني، لكنه اختلف عن كونفوشيوس في طريقة معالجة الأزمات؛ فبينما ركز كونفوشيوس على إصلاح المجتمع عبر الأخلاق والتراتبية والتعليم، اتجه لاو تزو بفلسفته نحو "الطاو" بدعوة الإنسان للتعايش مع قوانين الطبيعة دون مقاومة قسرية، والتزام البساطة والابتعاد عن التكلف

والرغبات الشخصية والضغوط الخارجية، مما يمنح الفرد حرية روحية وفهماً أعمق للحياة (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٧٠)، وتتوسع مصادر أخرى في تناول البعد الكوني والميتافيزيقي للطاوية، مركزة على الطاو كقوة خفية حاكمة للوجود، وعلى تطور الطاوية من جذور سحرية ودينية قديمة إلى فلسفة متكاملة، ويُنظر إلى الطاو كقوة طبيعية غير مرئية وغير قابلة للفهم الكامل بالعقل، لكنها المصدر الأول لكل الموجودات والقوانين التي تحكم الوجود (بينغ، ٢٠١٩، ص. ١١١).

تعتبر الطاوية أن هذا الطريق الكوني يدفع الكون للحركة والتطور، وينبغي على الإنسان أن ينسجم معه بانسحاب من الصراعات ومحاولات السيطرة، معتبراً أن العيش في توافق مع الطاو هو السبيل لتحقيق السلام الداخلي والاتزان وقد تطورت الطاوية من ممارسات دينية وسحرية قديمة في الصين، لكنها سرعان ما تحولت إلى نظام فلسفي متكامل يفسر أصل الحياة ويحدد منهجاً للعيش يتسم بالبساطة والتأمل ونبذ الطموحات الشخصية, وبهذا تعكس الطاوية رؤية شاملة للكون تدعو إلى قبول الطبيعة كما هي، والتركيز على الحرية الروحية والانسجام مع القوانين الأزلية التي تحكم الوجود (بينغ، ٢٠١٩، ص. ١١١)، **أما في الإصطلاح فقد وردت العديد من التعاريف الاصطلاحية للطاوية إذ تعددت الآراء هو وجهات النظر بشأنها لعل من أهمها:**

أ- هي مجموعة من المبادئ التي تجمع بين الفلسفة والأخلاق، وقد تشكلت من مزيج من العادات والمعتقدات الصينية القديمة، وينظر إلى الطاو في هذا السياق على أنه قوة تنتج الموجودات دون أن تملكها أي أنه النظام الطبيعي الذي يوجّه الكون، ويدعو الإنسان إلى السير فيه ببساطة وتلقائية، حتى يبلغ حالة الارتقاء الروحي عبر التوحد الكامل مع هذا المسار الكوني (بن زيادة، ١٩٨٦، ص. ٨١٩).

ب- هي عقيدة أو مجموعة من المبادئ المنبثقة من الفلسفة والديانة الصينية القديمة، تعتبر المدرسة الطاوية الثانية من حيث تأثيرها على المجتمع الصيني بعد الفلسفة الكونفوشيوسية، وبالتالي فهي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة، التي ما تزال حية إلى اليوم (المدني، ٢٠١٠، ص. ٦).

ت- تفهم أيضًا بوصفها الطريق وهذا المعنى ما يزال حاضرًا بقوة في الثقافة الصينية الحديثة، حيث تستخدم مفردة الطريق في الخطاب السياسي والاقتصادي للدلالة على النموذج الصيني الفريد، وهذه الكلمة تستمد جذورها من الطاو، وهو المفهوم الفلسفي الذي أسسه (لاو تزو)، ويعني السير في مسار متوازن ومنسجم مع قوانين الطبيعة. وهكذا، فإن الطاوية تجمع بين المعنى الفلسفي والديني والثقافي للكلمة، مما يجعلها إطارًا لفهم الحياة والفكر الصيني القديم والمعاصر (الغزيزر، ٢٠٢٠، ص. ١٠).

ث- هي عقيدة تنادي بأن الأشياء تصدر وتغير وفق طريقتها الخاصة أو الطاو، الخاصة بها، وكل الأشياء متبادلة وتتحول أضدادها في عملية التبادل، وعلى الإنسان أن يتشبث بطبيعة الأشياء من دون كَد أو عناء، والطاوية تعارض التسلط والقهر وتدعو إلى العودة إلى المجتمع البدائي عند القدماء، وقد أورد (لاو تزو) الذي يعد مؤسس أفكارها الرئيسة في كتاب (تاوتي تشين) قانون العقل والفضيلة (南怀瑾, 2003, pp. 3-9).

وبعد الوقوف على ماهية الطاوية وفهم أسسها المفهومية المرتبطة بمبدأ (الطاو) وطبيعة وجودها كفلسفة وديانة نشأت من عمق التراث الصيني، يصبح من الضروري الانتقال لاحقاً إلى معرفة وتحليل المبادئ الجوهرية التي تقوم عليها هذه الفلسفة.

٢- المبادئ الأساسية للطاوية:

أ-(الفعل من خلال اللا فعل) و يترجم هذا المفهوم إلى عدم الفعل وهو مبدأ جوهري انبثق لدى الفيلسوف (لاو تزو) ليشير إلى نمط حياة يدعو إلى تجنب التدخل المباشر أو المفرط في الشؤون السياسية والاجتماعية، وترك الأمور تتطور وتسير بأسلوبها الطبيعي (Wong, 2011, p. 47). يؤكد هذا المبدأ عدم استخدام القوة القسرية المفرطة لتحقيق الاستقرار، بل الاعتماد على التناغم الفطري بين الإنسان والطبيعة (شنغ، ٢٠١٢، ص. ٢٢٤). وفي هذا السياق، يحذر لاو تزو من خطورة الاعتماد على القوة العسكرية كأداة لتحقيق الاستقرار أو فرض الهيمنة؛ إذ يرى أن اللجوء للسلاح يعكس ابتعاد الحاكم عن مسار (الطاو) القائم على التوازن، ويعبر عن ذلك بقوله: "الذي يستعين بالطريق (الطاو) لكي يعاون الحاكم في حكمه للبشر لن يفكر في أن يهزم المملكة بقوة السلاح" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١١٣)، وتكشف هذه الرؤية عن تصور فلسفي يرى أن الأمن الحقيقي لا يتحقق عبر التفوق العسكري أو القهر المادي، بل من خلال الحكم الأخلاقي والانسجام مع النظام الطبيعي، مما يجعل السلام في الفكر الطاوي حالة نابعة من الاتزان الداخلي لا من الإكراه والعنف (Wieger, 2007, p. 221)، وفي هذا السياق، يلتقي التحليل السياسي الحديث مع هذه المقاربة الفلسفية القديمة في التأكيد على أن قوة الدولة الحقيقية وقدرتها التأثيرية لا تقتصر على الترسانة العسكرية والحلول القسرية فحسب، بل تمتد لتشمل القدرات المعنوية والمادية والسياسية الشاملة التي تبني الاستقرار والاستراتيجيات الأمنية الشاملة (أحمد ومحمد، ٢٠١٨، ص. ٢-٣).

وقد ابتغى (لاو تزو) من وراء ذلك، إيجاد حل لدوامة العنف، بغية الحفاظ على أمن الناس، وبالتالي تحقيق السلام، من هنا، فأن (لا وتزو) ارتأى في مقابل ذلك، أن

يظل الإنسان في حالة اللافعل، وهي من ثم تُعد علاجاً ناجحاً لإيقاف الطغيان والاستبداد (Wieger, 2007, p. 221)، إذ يوجه نصيحة مباشرة للحكام لضمان هذا الاستقرار بقوله: "حافظ على شعبك وأنت تحكم بلدك وسوف تبقى بلا فعل" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص.١٠٤)

يتأتى هذا الاستقرار عبر ضبط النفس وعدم الانجرار وراء ردود الأفعال الصارمة (شنغ، ٢٠١٢، ص. ٢٢٤)، إذ يُعد اللا–فعل أقوى من الفعل القسري، فاللطف يتغلب على القوة، والاستسلام الواعي يمثل الانتصار الحقيقي (Okoro, 2017, p. 6)، ومؤكداً من واقع المجتمع أن المبالغة في التشريعات والعتاد الحربي لا تجلب إلا الاضطراب، يقول لاو تزو: "كلما زاد في المملكة الحظر والتحريم، ازداد الشعب فقراً... كلما زاد عدد الأسلحة الحادة بين الناس ازداد الاضطراب في بيت الحاكم... كلما ازداد الناس مكراً ودهاءً ازداد الإخلال بالنظام... كلما زاد عدد القوانين والتعليمات، زاد عدد اللصوص وقطاع الطرق" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٠٤)، ومعلى ضوء استقرائه للمجتمع أن المبالغة في التشريعات والعتاد الحربي لا تجلب إلا الاضطراب، وتتجلى صحة هذه المقولة في التحليلات السياسية المعاصرة الواقعية، إذ يُشير (الباحث علي عباس عبيد) إلى أن الإكراه الحكومي والرقابة المكثفة والسياسات القمعية المتزايدة لم تحقق استقراراً حقيقياً في الإقليم (مثل إقليم شينجيانغ الصيني)، بل أسفرت عن تعميق حالة عدم الاستقرار والاحتجاجات والمطالبات الدولية بالعدالة وتوفير المساعدة القانونية للمتضررين، مما يؤكد أن الاستبداد والسيطرة المفرطة ينتجان اضطراباً سياسياً واجتماعياً مستمراً بدل السلم (عبيد، ٢٠٢٤، ص. ٢٤٠).

ويرى الباحثون أنه إذا تعلمت البشرية اتباع هذه السنن، فسيكون كل شيء منسجماً وسلمياً وفعالاً (Okoro, 2017, p. 6)، وتطبيق هذا المبدأ يعزز السلم الاجتماعي فتختفي الأفكار العدوانية وتجف ردود الأفعال الانتقامية، وهو ما يتجلى في قول لاو تزو: "أنا لا أفعل شيئاً، والشعب يتحسن من تلقاء نفسه... أنا أحب السكينة، والشعب يهتدي بنفسه إلى النظام... أنا لا أمارس تجارة، والشعب يصبح من نفسه غنياً... أنا لا أشتهي شيئاً، والشعب يعود من نفسه إلى الفطرة" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١٠٤)، وبذلك، قدم الفكر الطاوي للعالم الحديث نموذجاً بديل لبناء السلام وإدارة الصراع بأسلوب غير عنفي (Okoro, 2017, p. 13).

ب- **حرية الفرد الإنساني:** يرى الطاويون أن حرية الفرد تتمثل في العيش بحياة بسيطة وعفوية منسجمة مع قوانين الطبيعة وغير مقيدة بالتنظيمات والتشريعات الاجتماعية الصارمة بالنسبة لهم، الحياة الطيبة هي حالة من التناغم الفطري الذي يبتعد عن التعقيدات المجتمعية والقيود المؤسسية؛ لذا تُعد الطاوية داعمة للفردية والحرية الشخصية، معتبرة أن تحقيق الذات والانسجام الداخلي هما أساس استقرار المجتمع (Ho, 1995, p. 119)، ولتحقيق هذا التناغم، يؤكد لاو تزو على قيم التواضع والابتعاد عن التنافس المحموم بقوله: "لأنه لا يمجد نفسه يمجده الناس، ولأنه لا يسعى إلى شيء لذلك لا يسعى أحد بشيء ضده"، ويفند التعالي الفردي الذي يورث النزاعات حاسماً الفارق النفسي بقوله: "من يعطي نفسه الحق، لا يعترف به! من يدعي، لا يثق به أحد! من يغتر بنفسه، لا يعلو في نظر الناس" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٨٣)، وتتطابق هذه الرؤية الفلسفية مع المقاربات السياسية الحديثة في أن السلام والسلم الأهلي الأكثر استقراراً ينبعان من تعزيز الانسجام التلقائي والروابط

الاجتماعية المنتجة للتجانس بين الجماعات، بدلاً من فرض الضغوط والقوانين القسرية (حميد، ٢٠١٨، ص. ١).

كما يمثل مفهوم الأستاذ الغائب النموذج المثالي للإنسان الذي يحقق ذاته بعيداً عن السعي المادي للسلطة والمكانة الاجتماعية، محققاً استقراره النفسي عبر الانسحاب من الضغوط الاجتماعية بدلاً من التصادم معها (زايتس، ٢٠٠٣، ص. ٤٢)، ويرسم لاو تزو معالم هذا السلوك الحكيم قائلاً: "لأجل ذلك كله فإن الحكيم يفهم كيف يساعد الناس ولذلك لا يوجد إنسان ينبذه، إنه يفهم كيف يساعد الكائنات ولهذا لا يوجد ثمة كائن ينفر منه... لذلك يتجنب الحكيم التطرف، يتجنب التهور، يتجنب الخيلاء" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٨٣).

وفي مقابل هذا النزوع الفلسفي القديم نحو الانسحاب الفطري والابتعاد عن صراعات السلطة، يتجه الفكر السياسي المعاصر نحو تجاوز المقاربات النمطية والمثالية للتحول نحو واقعية التفكير في قضايا الدولة والمشاركة السياسية (العنبر، ٢٠٢٤، ص. ٥٨).

وهنا نرى ان العلاقة بين الحرية الفردية والأمن والسلام في الطاوية تعكس الحرية الفردية في الطاوية رؤية فلسفية ترى أن الأمن والسلام لا ينبعان من القوانين أو السلطة، بل من ترك الأفراد يعيشون وفق طبيعتهم الخاصة, فالقيود المجتمعية الصارمة أو القمع التنظيمي تُعتبر عوامل تؤدي إلى التوتر والصراعات، بينما يُنظر إلى منح الأفراد حرية التناغم مع الطبيعة على أنه وسيلة لتحقيق السلام الداخلي، الذي يمتد بدوره ليشمل المجتمع ككل فإن الإنسان إذا اقتدى بالطبيعة وسار وفق سننها، سيصل إلى حالة من التوازن الداخلي والخارجي هذه الحالة من الاتزان والانسجام تمنع الصراعات وتحقق السلام النفسي والاجتماعي، لأن مصدر النزاع غالباً ما يكون التمرد على النظام الطبيعي

أو فرض إرادة الإنسان على مجرى الأمور بطريقة غير متزنة، أضف إلى ذلك ان الأمن لا ينبع من السيطرة أو القوة العسكرية، بل من الحكمة والتواضع، وفي هذا السياق، تُظهر الطاوية أن الأمن لا يتحقق من خلال السيطرة على الفرد، بل من خلال خلق بيئة تتيح له تحقيق التوازن بين ذاته والطبيعة المحيطة، وهذا التوجه يساهم في تقليل النزاعات الاجتماعية ويؤدي إلى بناء مجتمع أكثر استقرارًا وسلامًا، بالتالي ترى الطاوية أن التدخل في مجريات الحياة قد يؤدي إلى مزيد من الفوضى.

ت- **مبدأ العودة إلى البساطة:** يرى الطاويون أن العودة إلى البساطة هي السبيل لتحقيق حياة متناغمة ومستقرة، فبعد تجربتهم للعالم المادي الذي يُعد نتاج الإنسان، أدركوا أنه عالم مليء بالاضطراب والمشاكل، مما دفعهم إلى نبذه والدعوة إلى العودة إلى الطبيعة، وفقًا لهذا المفهوم، فإن الخلاص يكمن في العودة إلى (الطاو)، الذي يمثل السبيل الطبيعي لتحقيق الانسجام بين الإنسان والكون من خلال هذا التوجه، يمكن للإنسان استعادة الهدوء والسكينة التي فقدها بسبب التعلق بالماديات والتعقيدات المجتمعية، وعلى ضوء ذلك تدعو الطاوية إلى **البساطة والزهد و**الابتعاد عن الطمع والرغبات الزائدة، معتبرةً أن هذه السلوكيات تقود إلى الفوضى وعدم الاستقرار (Chen, 1973, p. 457)، ويبدو ان هناك علاقة بين مبدأ البساطة والأمن والسلام وهذا يتضح في تاكيد الطاويون أن التمسك بالبذخ المادي والرغبات المفرطة يُعد مصدرًا أساسيًا للفوضى وعدم الاستقرار، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي، إذ يعقد (لاو تزو) رابطاً مباشراً بين غياب القناعة والوقوع في شرور الآثام والجرائم بقوله: "ما من ذنب أعظم، من أن يستسلم المرء لشهواته... ما من شر أكبر من أن يجهل الإنسان القناعة... ما من عيب أخطر من أن يسعى الإنسان إلى

الكسب حقاً" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٨٤)، بالتالي فإن العودة إلى البساطة تسهم في إزالة أسباب الصراع الداخلي لدى الأفراد، مما ينعكس إيجابًا على العلاقات الاجتماعية، علاوة على ذلك، فإن الانسجام مع الطبيعة، الذي تدعو إليه الطاوية، يُقلل من التوترات الناتجة عن استغلال الموارد أو النزاعات المجتمعية المرتبطة بالمصالح المادية (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٨٤).

وعلى خلاف الرؤية الطاوية التي تجعل من القناعة والحد من التوسع سبيلاً للاستقرار، تعكس العلاقات الدولية المعاصرة واقعاً مغايراً محكوماً بالصراع والتنافس بين القوى الكبرى لكسب النفوذ والهيمنة الإقليمية والدولية (الأنباري، ٢٠٢٠، ص ٧٣).

ومن هذا المنطلق، يصبح مبدأ البساطة في الطاوية ليس مجرد دعوة فردية بل استراتيجية لتحقيق السلام الشامل والأمن المستدام من خلال تقليل النزاعات وترسيخ حالة من التوازن الطبيعي مؤكداً على فكرة أن التحرر الفردي من الجشع والماديات هو المعبر الأساسي للسلام العالمي الشامل إذ يقول: "تحرر من الاشتهاء والتحرر من الاشتهاء يؤدي إلى السكينة وبالسكينة يصل العالم من نفسه إلى السلام" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٨٤)، ولذلك ينتقد محاولات الإنسان المستمرة لتطويع وتغيير نظام الكون وفق تطلعاته المادية الذاتية والجموح الفكري السائد محذراً من الهلاك قائلاً: "ان الناس يحاولون أن يغيروا العالم ويحولونه إلى الشكل الذي يريدونه، ولكنهم لن يفلحوا في ذلك، لأنهم يفسدونه ولا يصلون إلى ما يريدون، فيقول في ذلك: من الناس من يريد أن يغزو العالم وأن يعمل منهم ما يتصوره أو تشتهيه نفسه" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٩٧).

ث- **التوازن والانسجام:** ترتكز الفلسفة الطاوية على مبدأ التوازن الديناميكي بين أضداد الكون المتكاملة، والمعروفة بنظرية الين واليانغ آذ يمثل اليانغ العنصر الفعال

والمتحرك والذكورة والضوء والحرارة، في حين يمثل الين العنصر الساكن والأنثوي والظلمة والبرودة (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ٦٢-٦٣). ولا يُنظر إلى هذه الأضداد في الفكر الصيني كأطراف متصارعة، بل كقوى متكاملة يستحيل وجود إحداها دون الأخرى، ومن خلال التداخل والتعادل بينهما يتحقق التناسق والانسجام في الوجود (سانتانجليو، ٢٠١٥، ص. ٧٤؛ Wang, 2012, p. 25)، وبناءً عليه، يرى الطاويون أن السلام ليس حالة جمود وفرض سيطرة، بل هو توازن بين القوى المتعددة، ويرى لاو تزو أن الابتعاد التام عن النزاع والصدام القسري هو المسار الحقيقي الموصل للسكينة، مجسداً صفات الحكيم بقوله: "أشجع الفرسان لا يتنازع... أقوى المحاربين لا يغضب، من يقهر الأعداء لا يتعارك، من يحسن استخدام الناس يضع نفسه في خدمتهم... هذا ما يسمونه: فضيلة البعد عن النزاع.. هذا ما يسمونه: القدرة على استخدام الناس.. هذا ما يسمونه: سر الزواج مع الثناء" (عبد الحي، ١٩٩٩، ص. ١١٣)، وتطبيقاً لمفهوم التوازن في التفاعلات الدولية المعاصرة، يتأكد أن درء مخاطر التنافس والاستجابة لتغيرات موازين القوى الدولية يتطلبان استقراراً سياسياً ورؤية استراتيجية متوازنة في التعامل مع القوى الكبرى(متعب، ٢٠٢٥، ص. ١)، إضافة الى ذلك وتطبيقاً لمفهوم التأثير بعيداً عن أسلوب القهر المادي، يتجسد السعي الحديث نحو الاستقرار من خلال الاعتماد على القوة الناعمة المتمثلة بالثقافة والقيم السياسية بدلاً من استخدام أدوات الإكراه والقوة العسكرية (جواد، ٢٠٢٦، ص. ٤٨٠).

فضلاً عما تقدم برزت في الغرب المدرسة الرواقية وقبلها أفكار الفيلسوف هرقليطس في الوقت الذي صاغ فيه (لاو تزو) نظريته حول (الطاو) واللافعل لتحقيق للسلام، حيث

يرى الفيلسوف اليوناني القديم (هرقليطس) أن الكون محكوم بنظام وعقل كلي أطلق عليه اسم (اللوغوس) وهو القانون الطبيعي الأزلي الذي يجب على البشر فهمه والانسجام معه لتحقيق الاستقرار، فضلاً عن ذلك جاءت المدرسة الرواقية بزعامة (زينون الرواقي) وتطورت لاحقاً مع (سينيكا وماركوس أوريليوس) لترفع مقولة : "العيش وفقاً للطبيعة"، فالرواقيون يرون أن السلام الخارجي والداخلي لا يتحقق عبر التمرد على القوانين الطبيعية أو محاولة قهرها، بل عبر التناغم الفكري والسلوكي مع النظام الكوني، وهو يقارب ما ذهب إليه الطاويون في تتبع مسار الطبيعة وسننها.

وفي سياق متصل أن مبدأ (اللا–فعل) في الطاوية يلتقي مع واحد من المفاهيم الرواقية وهو (الأتاراكسيا) أي طمأنينة النفس، و(الأباتيا) التي تعني التحرر من الانفعالات والشهوات الزائدة والنزاعات المصطنعة، اذ يرى الرواقيون أن الحروب والاضطرابات السياسية والاجتماعية هي نتاج الطمع واللاعقلانية البشرية وأن الأمن الإنساني يبدأ عندما يتوقف الإنسان عن محاولة السيطرة على الأمور التي تقع خارج إرادته وطبيعته، وكما ذكرنا مسبقا على تأكيد الرؤية الطاوية أن البساطة والزهد والابتعاد عن الطمع والرغبات الزائدة هي السبيل لإزالة أسباب الصراع الداخلي والمجتمعي، وهذا الطرح في فلسفة الرواقيين الذين ربطوا الفضيلة والسلام بالبساطة والتحرر من أسر الماديات, كما نادوا بالزهد والتقشف الفكري والمادي، واعتبروا أن الحروب التوسعية التي تخوضها الإمبراطوريات لجمع الثروات وبناء القوة العسكرية الفظة هي فوضى واغتراب عن الطبيعة الإنسانية الفاضلة، وبذلك، يلتقي الطرفان في أن اختزال الرغبات المادية يحمي الموارد، ويمنع التوترات والنزاعات الناشئة عن استغلالها.

ثانيا: الامن والسلام في البوذية:

البوذية هي نظام فلسفي أوديني فلسفي يقدم رؤية شاملة للعالم ومكانة الإنسان فيه، بما في ذلك طريقة لتنظيم الشؤون الإنسانية (Jayasuriya, 2008, p. 43)، ولعل من ابرز مبادئها: (طه، ٢٠١٨، ص ص. ١٧٧-١٧٨):

١. مبدأ العقل والطبيعة: تنطوي البوذية الصينية على خصائص مميزة، تتجلى بتأسيس نظرية العقل والطبيعة، مما يعني أنها تتناقض مع البوذية الهندية، كذلك فإن البوذية الصينية اتسمت بروح التناغم والروح الأخلاقية والإنسانية، وبالطبع فإن هذه المبادئ تكشف بوضوح مدى تعمق التأثير الكونفوشيوسي على البوذية الصينية، فضلاً عن تجلي الطاوية بنواحٍ كثيرة في البوذية الصينية.

٢. مبدأ الحياة الفاضلة: تنقسم التعاليم البوذية الصينية إلى جملة من التعاليم، التي تدخل في الحياة البشرية فلديها من المبادئ ما يتطرق للحياة الإنسانية بشكل عام حيث تتألف الحياة الفاضلة من عدد من المحللات والمحرمات، فضلاً عن أن الحياة في المنظر البوذي حياة فانية، وأن جهل الإنسان أو علمه أنما يعود لقدراته الذهنية وطاقاته الخاصة والتدريب الذهني الذي اشتهرت به على مدار السنين والذي يعرف بالتأمل، كما أن البوذية تحث على أن يتسم الإنسان بالصبر والاصرار حتى يتماهى مع شخص بوذا.

٣. الامتناع عن انهاء حياة أي كائن حي والقاعدة الذهبية "لا تفعل للآخرين ما لا تريد أن يفعله الآخرين لك" اي ترتكز على الرحمة والامتناع عن القتل والمصلحة الذاتية والوعي الذاتي والالتزام بالقانون الأخلاقي لتحقيق المسؤولية المجتمعية، ولا شك أن الالتزام بالمبادئ الأخلاقية البوذية، وخاصة قاعدة "لا تفعل للآخرين ما لا تريد أن

يُفعَل لك" يعزز بيئة تقوم على الرحمة وعدم العنف مما اسهم بشكل مباشر في تحقيق الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم كما أن هذا النهج الأخلاقي يحفز على تحمل المسؤوليات الاجتماعية والوعي الذاتي، مما يساعد في بناء مجتمع متماسك ومستقر.

٤. مبدأ القيم الاجتماعية: وهي المودة والعطف والأعمال الصالحة في المجتمع وأن السعي وراء المبادئ الروحية التي وردت في البوذية ينعكس ويتجسد من خلال الأعمال الأخلاقية، وتكمن خلفية هذا التحول عن طريق أنعكاسه من الذات الإنسانية الروحية إلى التوجه الدنيوي في النظام الأخلاقي (Kuah-Pearce, 2014, pp. 27–29) اذ حددت البوذية الصينية طريق الصلاح عبر التركيز على الإيثار والصبر والصدق والاجتهاد والحكمة والفضيلة، فمن خلال ذلك سوف يصل الإنسان إلى أرفع المستويات الخلقية، ومنها إلى التنوير أي التحرر والتخلص من الرغبات للوصول إلى السلام في أفضل حالاته (Zhang & Ren, 2003, pp. 2–3)، وفي سياق متصل التنوير في البوذية الصينية يعني ببساطة أن يصحو الإنسان من غفلته ويفهم حقيقة نفسه وحقيقة الدنيا، وتقوم الفكرة على أن كل إنسان بداخله قلب صافٍ ونقي جداً لكن مشاكل الحياة والهموم والأنانية تغطي هذا القلب مثل الغبار، وعندما ينجح الشخص في تنظيف عقله وقلبه من هذا الغبار عبر التأمل والهدوء يحدث له التنوير وهو يرى الأمور على حقيقتها فلا يزعل من الدنيا ولا يطمع في شيء ويعيش في سلام داخلي تام، ويعيش التنوير في حياته العادية لا يحتاج إلى أن يهرب إلى جبل أو يعتزل الناس، بل يمكنه أن يكون مستنيراً وهو يمارس عمله

اليومي ويتعامل مع الناس بطيبة ومحبة لأن عقله صار صافياً ومستقراً (Yeshe, 2001, p. 68).

٥. مبدأ الاسرة و التقوى الأبوية: تركز البوذية الصينية على مفهوم تقوى الأبناء تكاملًا للأخلاق البوذية الصينية واستيعاباً للأخلاق الكونفوشيوسية، إذ أكدت أن الأسرة وحدة مهمة في المجتمع، وحددت قواعد خاصة للتعامل بين الزوج وزوجته وبين الأب وأولاده (طه، ٢٠١٨، ص. ١٧٦) ولم تهتم البوذية بتقديم تعاليم لتنظيم نواحي النشاط الاقتصادي، أنما ركزت على الجوانب الاجتماعية مثل تعامل الخدم، وتعامل الحكام مع المجرمين، واحترام الكبار، ونبذ المشاعر السلبية مثل الغيرة والحقد (طه، ٢٠١٨، ص. ١٧٨).

٦. مبدأ التغيير الدائم والديالكتيك فالعالم في منظورها منتظم في حركة دائمة من التغيير، مضافاً الى اعتقادها بأن العالم هو مادي أزلي، وأن لا شيء مادي يبقى بعد الموت والفناء، كما أن مشاعر الخوف والاضطراب التي تنتاب البشر، والرغبات المادية بحسب الفكر البوذي الصيني لا بد من التخلص منها؛ ذلك لأنها من نتاج الإحساس القوي بالذات، وقريب من هذا المعنى، ساد البوذية الصينية قانون أن لكل فعل رد فعل، سواء تجلى ذلك بالمشاعر أو التصرفات الإنسانية، فبحسب المنظور البوذي الصيني أن الخير يعود على الإنسان بالخير، والشر يعود على الإنسان بالشر، وأن العالم مستمر لا ينتهي (طه، ٢٠١٨، ص. ١٧).

٧. تستند النظرية السياسية البوذية إلى ثلاث أفكار أساسية:

أ- يعتمد الفكر السياسي البوذي على أنكار وجود الذات ، ليس فقط أنه عدم وجود روح خالدة، بل لا يوجد شيء على الإطلاق يظل مستمرًا مع مرور الوقت ليكون أساس

الشخصية أو الذات، يسمح هذا الموقف للبوذية بتشخيص الاعتقاد في وجود الذات على أنها المصدر الرئيس للصراع بين الأفراد والصراع الاجتماعي، لأنها تنتج الأنانية سواء كانت للفرد والمجموعات والامم (Moore, 2016, p. 2)، ويتضح ذلك من خلال سعي الافراد وراء المتعة والقوة هو المصدر الرئيس للصراعات والحروب وأنعدام الأمن، وان الحل لهذه الصراعات وهو عن طريق السعي إلى السلام، إذ ترى بوجوب السعي لتحقيق السلام بصورة حقيقية من خلال البدء من أعماق الذات الإنسانية أي يبدأ من الداخل، وليس من خلال بنود تفرضها قوة سياسية خارجية، أي عن طريق تحول داخلي للرغبة نفسها، وأن فكرة البوذية الجوهرية تقوم على أن السلام الحقيقي يأتي من إنكار وجود الذات والتحول الشخصي، القائم على البصيرة والحكمة وهذا سيؤدي لأنهاء الصراع بين الأشخاص ويؤدي إلى سعادة حقيقية وهذا له اثار في الدولة وهو صنع عالم أكثر سلامًا (Emmanuel, 2013, pp. 538–539)، هكذا فأن المرتكز الأساس للنظرية البوذية لأحداث أي تحول اجتماعي هو التحول الداخلي، أي بمعنى ثورة روحية من الداخل من الذات الفردية وأنه من الواجب استبدال المنافسة بالرحمة والتسامح والبساطة، بالمحصلة أن مفتاح السلام هو الاعتراف بالطبيعة المدمرة للذات للرغبات التنافسية والأنانية وهي العقبة الحقيقية أمام السلام (Emmanuel, 2013, p. 540).

ب- ضمان الاستقرار الاجتماعي والسلام من خلال إصدار القوانين والقواعد، ومعالجة الأنتهاكات، ومنع الفقر المدقع الذي يؤدي عادة إلى الجريمة (Moore, 2016, p. 50)، وهنا نرى أن البوذية الصينية تسعى لتحقيق السلام والأمن من خلال التركيز على السلام الداخلي للفرد، الذي يتحقق عبر التأمل، الإيثار، ورفض الرغبات

الأنانية، هذا التحول الداخلي ينعكس بشكل إيجابي على استقرار المجتمع، حيث تساهم الأخلاق، الرحمة، والتسامح كأسس للتعايش السلمي، وعلى الرغم من تركيزها على التحول الذاتي، فإن التغيير يبدأ من الفرد ويؤدي إلى تأثير اجتماعي وسياسي عميق، حيث يمكن أن يتوسع من الحياة اليومية ليشمل تغيير الحكومات والمجتمعات، مما يحقق سلامًا حقيقيًا ودائما.

المحور الثالث: الفلسفة الفكرية العسكرية لصن تزو

لا يوجد في حياة الأمم ما هو أخطر من قرار شنّ الحرب؛ فهي جهدٌ جماعيٌ يتجاوز المؤسسة العسكرية ليطال كافة مفاصل الدولة والمجتمع، محولةً الأوطان عند اندلاعها إلى أراضٍ يملؤها الخراب. من هنا، تبرز الحاجة إلى فهم الحرب بوصفها ظاهرة إنسانية وسياسية، ويُعدُّ كتاب (فن الحرب) للمفكر العسكري (صن تزو) نموذجًا تاريخيًا فريدًا لهذا الفهم، حيث تتجاوز أطروحاته ساحة القتال لتتصل بمدخلات إدارة الدولة والأمن والسلام.

يرتكز الفكر السياسي العسكري لدى (صن تزو) على أن الحرب وسيلة اضطرارية لا يُلجأ إليها إلا في أقصى الحالات؛ إذ لا يُقاس الانتصار الحقيقي بحجم الدمار، بل بقدرة الدولة على تحقيق أهدافها الاستراتيجية دون الدخول في معارك دامية، وهو ما يتقاطع مع البنية العميقة للفكر السياسي الصيني المعاصر المائل لتجنب الصدام المباشر وتفضيل أدوات النفوذ غير العنيفة (تزو، ٢٠١٠، ص. ٨٥).

كما يشغل الخداع الاستراتيجي موقعًا مركزيًا في فكره عبر إظهار القائد عكس ما يُبطن لتضليل العدو والسيطرة عليه نفسيًا وميدانيًا دون اشتباك فعلي، وهو ما يجد صداه اليوم في السياسات الصينية الحديثة التي تزاوج بين الاقتصاد والتكنولوجيا والإعلام لتثبيت النفوذ (تزو، ٢٠١٠، ص. ٨٦)، وفي سياق متصل، يُولي (صن تزو) أهمية محورية

للمعلومة والمعرفة الاستخباراتية، مؤكداً أن معرفة العدو والذات هي الأساس المتين للانتصار، وهو المبدأ الذي تُجسده الصين المعاصرة عبر الاعتماد على تقنيات الرصد والأمن السيبراني لحماية أمنها القومي (تزو، ٢٠١٠، ص. ٨٧).

أما على مستوى القيادة، فيُبرز (صن تزو) القائد المثالي باعتباره شخصية متزنة حكيمة تتخذ قراراتها بعيداً عن الانفعالات، مع التحذير من تدخل الحكام في شؤون الجيش الميدانية لعدم إرباك القيادة، وهو ما ينسجم مع مفهوم المركزية المنضبطة في الصين اليوم (تزو، ٢٠١٠، ص. ٨٨). وتأكيداً للمرونة والتكيف، حدد (صن تزو) خمسة مبادئ أساسية لتحقيق النصر (تزو، ٢٠١٠، ص. ٩٢):

١. إدراك التوقيت المناسب للقتال: معرفة متى يجب خوض المعركة ومتى يجب تجنبها.
٢. فهم طبيعة العدو: تحليل نقاط قوة العدو وضعفه لوضع استراتيجية ملائمة.
٣. تحقيق وحدة الهدف: التماسك والانسجام الكامل بين القادة والجنود.
٤. الاستعداد واغتنام الفرص: قراءة الميدان وانتهاز اللحظات الحاسمة.
٥. عدم تدخل السلطات العليا في القرار الميداني: منح القائد الصلاحية الكاملة لاتخاذ القرار وفقاً للتطورات.

وفي المقابل، حدد (صن تزو) خمسة انزلاقات قيادية خطيرة تنبع من انفعالات نفسية تقود القائد إلى الهزيمة (تزو، ٢٠١٠، ص. ١٢٥):

١. التهور غير المحسوب: الاندفاع بغير حكمة أو روية.
٢. الجبن والحرص المفرط على النجاة: الإحجام عن استغلال الفرص خوفاً من المجازفة.

٣. سرعة الغضب وحدة الطبع: سهولة الاستفزاز والتلاعب بالقرارات العسكرية.

٤. الحساسية المفرطة تجاه السمعة: الهوس بالكرامة مما يجعل القائد قابلاً للتوجيه غير المباشر.

٥. الإفراط في الشفقة على الجنود: الإحجام عن القرارات الحاسمة خوفاً من الخسائر، مما يطيل أمد الحرب.

وفي فلسفته الاستخباراتية الشاملة، أصل (صن تزو) أهمية المعرفة المسبقة بأحوال العدو، معتبراً أن إرسال الجيوش دون تخطيط استخباراتي يثقل كاهل الشعب ويستنزف الموارد (تزو، ٢٠١٠، ص. ١٦٣). وقسّم الجواسيس إلى خمسة أنواع (تزو، ٢٠١٠، ص. ١٦٤): المحليون (من أرض العدو)، الداخليون (من صفوف العدو)، الهالكون (من يُسرب لهم معلومات خاطئة)، المنشقون (جواسيس العدو المستمالون بالمال)، والاستراتيجيون (المكلفون بمهمات خاصة). وأكد أن إدارة الجواسيس تتطلب الحكمة والسرية والحذر، مشدداً على توظيفهم لمعرفة تفاصيل العدو، ومحذراً في الوقت ذاته من التهور الاستخباراتي أو الاعتماد الأعمى دون عقل حكيم يحلل المعلومات (تزو، ٢٠١٠، ص ص. ١٦٥–١٦٧)، لكون الجواسيس هم عين الجيش وعقله الموصلان للسلام المستقر والانتصار الحاسم (تزو، ٢٠١٠، ص. ١٦٨).

وفي سياق المقاربة مع الفكر السياسي اليوناني القديم، يحلل (ثوسيديديس) أسباب الحرب مؤكداً أن العلاقات بين الدول تحركها ثلاث غرائز: (الخوف، المصلحة، والشرف)، وأن السلام ليس إلا هدنة مؤقتة يحميها الردع العسكري، كما تجسد في حوار ميلوس الشهير، ورغم براغماتيته، يلتقي (ثوسيديديس) مع (صن تزو) في تجريد الأمن من

المثاليات، والتحذير من التهور العسكري المبني على العواطف، والتأكيد على أن العقلانية والاعتماد على الذات هما الضمانة الوحيدة لحفظ أمن الدولة.

تأسيساً على ما تقدم، يتضح أن مفهومي الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم قد تأثرا بالتقاليد الفلسفية الكبرى؛ فالكونفوشيوسية ربطت السلام بالحكم الأخلاقي والانسجام الاجتماعي، والطاوية اعتمدت على التكيف والتوازن الطبيعي (الين واليانغ)، والبوذية ركزت على السلام الداخلي واللاعنف، بينما قدم الفكر العسكري عند (تزو) منظوراً براغماتياً يستند إلى التخطيط الاستراتيجي والمعرفة العميقة، وقد شكلت هذه الأطر الفلسفية المتكاملة الركيزة الأساسية التي أعادت الصين صياغتها في العصر الحديث لمواجهة التحديات الدولية وإعادة تفسير رؤى الأمن والسلام.

الخاتمة:

تأسيساً على ما تقدم، يتضح أن مفهومي الأمن والسلام في الفكر السياسي الصيني القديم قد تأثرا بالتقاليد الفلسفية الكبرى؛ فالكونفوشيوسية ربطت السلام بالحكم الأخلاقي والانسجام الاجتماعي، والطاوية اعتمدت على التكيف والتوازن الطبيعي (الين واليانغ)، والبوذية ركزت على السلام الداخلي واللاعنف، والتسامح والتخلص من الرغبات المادية التي تؤدي إلى النزاع اذ ركزت على السلام الداخلي كشرط ضروري لتحقيق السلام المجتمعي والسياسي، كما قدم الفكر العسكري عند (صن تزو) قدم منظورًا براغماتيًا للأمن والسلام، يستند إلى المعرفة العميقة اذ رأى أن تحقيق السلام لا يكون فقط عبر القيم الأخلاقية أو التوازن الطبيعي بل عبر التخطيط وإدارة النزاعات، كما أكد أن الحرب أداة سياسية يجب اللجوء إليها بحذر، مشددًا على أن الانتصار الأفضل هو الذي يتحقق دون قتال، مما يعكس رؤية فكرية سياسية للامن والسلام قائمة على االمعرفة العميقة بالعدو،

وعليه بُني الفكر السياسي الصيني القديم على أسس فلسفية تنظر إلى الأمن والسلام من زاوية أخلاقية، طبيعية، روحيه، وفي الختام توصلت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات، أصلت للمرتكزات الفكرية والسياسية للأمن والسلام في الفكر الصيني وهي كالتالي:

١- الأمن السياسي والمجتمعي في الفكر الصيني ليس نتاج قسرٍ خارجي، بل ينبع بنيوياً من صلاح الحاكم والتحول الأخلاقي والنفسي للفرد (السلام الداخلي).

٢- أثبتت الطاوية أن الأمن المستدام يتحقق عبر الانسجام والتوازن مع المتغيرات، وأن محاولة إخضاع الواقع بالقوة يقود حتماً إلى الخراب.

٣- قمة التفوق العسكري النصر بلا قتال إذ صاغ (صن تزو) عقيدة أمنية براغماتية تجرّد الصراع من الانفعال، وتجعل الاستخبارات والمعرفة أساساً لإخضاع الخصم دون إراقة دماء.

٤- قدم الفكر الصيني نموذجاً حضارياً كاملاً يوازن بين الروحيات والمثالية (كونفوشيوس، الطاوية، البوذية) والبراغماتية والردع (صن تزو)، بخلاف الطروحات الغربية المرتكزة غالباً على موازين القوة العسكرية المجردة، اذ يرتكز النموذج الصيني أولوية الإنسان والأخلاق والانسجام على حساب الإكراه العسكري، وأن هذا الإرث الفلسفي ما يزال يشكل أحد المرتكزات الفكرية المؤثرة في الرؤية الاستراتيجية للصين المعاصرة تجاه الأمن والسلام العالميين.

قائمة المراجع :

أولاً: المراجع باللغة العربية:

١- أحمد، علي حسين، ومحمد، سامر عادل. (٢٠١٨). الأبعاد الأمنية الشاملة في الفكر السياسي المعاصر. مجلة الدراسات الاستراتيجية والسياسية، ١٢(٤٥).

٢- الأنباري، أحمد عبد الأمير. (٢٠٢٠). التنافس الروسي – الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط: تنازع النفوذ والأدوار: سوريا أنموذجاً. مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، العدد (٦٠).
٣- بينغ، تشانغ. (٢٠١٩). تاريخ الطاوية وتطورها الفلسفي في الصين (ترجمة: أحمد محمود). دار النشر للثقافة الصينية.
٤- تزو، صن. (٢٠١٠). فن الحرب (تقديم وتعليق: أحمد ناصيف؛ ط. ١). دار الكتاب العربي.
٥- تسنغ قوه شيانغ. (٢٠١٧). حكمة كونفوشيوس في إدارة الدولة والمجتمع (ترجمة: محمد السيد). دار الشروق.
٦- الثقافة الصينية التقليدية. (٢٠١٨). مدخل إلى الفلسفة والروح الصينية. دار المعارف للنشر.
٧- الجابري، مهدي. (٢٠١٧). الفلسفة السياسية القديمة: قراءة مقارنة بين الشرق والغرب. مجلة الحكمة الفلسفية، ٨(١٥).
٨- جواد، دانيه فاضل. (٢٠٢٦). توظيف الصين للقوة الناعمة في علاقاتها الدولية. المجلة العراقية للعلوم السياسية، السنة (٧)، العدد (١٩).
٩- حلمي، زايتس. (٢٠٠٣). الفلسفة الصينية القديمة: لاو تزو والطاوية. دار الفكر المعاصر.
١٠- حميد، إبراهيم. (٢٠١٨). الانسجام الاجتماعي وبناء السلم الأهلي في النظرية السياسية. مجلة العلوم الاجتماعية، ٦(٢).
١١- سانتانجليو، باولو. (٢٠١٥). مفهوم الين واليانغ في الفكر الصيني القديم (ترجمة: خالد العلي). العبيكان للنشر.
١٢- شنغ، لي. (٢٠١٢). الفلسفة السياسية في الصين القديمة. دار أزمنة للنشر والتوزيع.
١٣- الشيخ، بن زيادة. (١٩٨٦). معجم الديانات والفلسفات الآسيوية القديمة. دار الفكر العربي.
١٤- الصعيدي، عبد الله. (٢٠٢٠). الفكر الاجتماعي والسياسي في الصين القديمة. دار المعرفة الجامعية.
١٥- الطعان، عبد الرضا، وآخرون. (٢٠١٥). تاريخ الفكر السياسي القديم والوسيط. دار الكتب العلمية.
١٦- طه، يسرا محمد أحمد. (٢٠١٧). القيم الأخلاقية وأثرها في الاستقرار السياسي: دراسة في التراث الصيني. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
١٧- طه، يسرا محمد أحمد. (٢٠١٨). أثر الثقافة الصينية في الفكر السياسي القديم. دار المعرفة.
١٨- عبد الحي، عمر. (١٩٩٩). الفكر السياسي الصيني القديم: الكونفوشيوسية والطاوية. دار النهضة العربية.
١٩- عبيد، علي عباس. (٢٠٢٤). مشكلة إقليم شينجيانغ بين سياسة الاضطهاد الصيني والأطراف الدولية الفاعلة. مجلة العلوم السياسية، (٦٨)، ٢٤٠.
٢٠- عزيز، أحمد عدنان. (٢٠٢٥). إسهامات لينين الفكرية والسياسية في تطوير النظرية الماركسية. مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، العدد (٦٩).
٢١- العنبر، إياد خلف. (٢٠٢٤). ما بعد الإسلاموية وأزمة التفكير بالدولة. مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (٦٧).
٢٢- الغزيزر، محمد. (٢٠٢٠). المفاهيم الفلسفية وتطبيقاتها في الخطاب السياسي الصيني المعاصر. مجلة العلوم السياسية والقانون، ٤(١٨).
٢٣- كولر، جون. (١٩٩٥). الفكر الشرقي القديم (ترجمة: كامل يوسف حسين). عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢٤- متعب، مالك دحام. (٢٠٢٥). التنافس الأمريكي - الصيني وتأثيراته في سلاسل الإمداد العالمية. المجلة العراقية للعلوم السياسية، السنة (٦)، العدد (١٦).
٢٥- المدني، توفيق. (٢٠١٠). الفلسفات الشرقية القديمة وأثرها في الحضارة الإنسانية. المؤسسة الحديثة للكتاب.
٢٦- مكي، مرتضى جبار، وصالح، يسرى مهدي. (٢٠٢٥). دور الهوية في التنافس والصراع بين الصين والهند. مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، العدد (٧٠).
٢٧- ناي، جوزيف، وآخرون. (٢٠١٨). الثقافة والسياسة في شرق آسيا (ترجمة: سارة محمود). دار الفكر.
٢٨- وزيرن، روبرت، وفان لون، بيت. (٢٠٠٣). مدخل إلى الفلسفة الصينية (ترجمة: إبراهيم العريس). دار الساقي.
٢٩- يوي دان. (٢٠١٧). قراءات معاصرة في حِكم كونفوشيوس (ترجمة: حسام الدين جاد). دار الخان للنشر والتوزيع.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

1. Aristotle. (2013). Politics (C. Lord, Trans.; 2nd ed.). University of Chicago Press.
2. Bell, D. A. (2020). Just hierarchy: Why social tiers matter in China and the West. Princeton University Press.
3. Brown, E. (2022). Ethics and politics in ancient philosophy: Plato and Confucius in dialogue. Journal of Comparative Political Theory, 2(2), 210–230.
4. Chen, E. M. (1973). The theory of Lao Tzu's Tao Te Ching. Philosophy East and West, 23(4), 457–470.
5. Emmanuel, S. (Ed.). (2013). A companion to Buddhist philosophy (1st ed.). John Wiley & Sons.
6. Ho, D. Y. (1995). Selfhood and identity in Confucianism, Taoism, and Buddhism. Asian Journal of Social Psychology, 1(1), 115–139.
7. Jayasuriya, L. (2008). Buddhism, politics, and statecraft. International Journal of Buddhist Thought and Culture, 11, 41–62.
8. Kraut, R. (Ed.). (1992). The Cambridge companion to Plato. Cambridge University Press.
9. Kuah-Pearce, K. E. (2014). Understanding suffering and giving compassion: The reach of socially engaged Buddhism into China. Anthropology & Medicine, 21(1), 27–39.
10. Moore, M. J. (2016). Buddhism and political theory. Oxford University Press.
11. Nan, H. (2003). Laozi Ta Shuo - Laozi's Wisdom. Fudan University Press.

12. Okoro, C. (2017). The Taoist principle of Wu-Wei and non-violent conflict resolution. International Journal of Philosophy and Theology, 5(1), 1–
13. Plato. (1997). Complete works (J. M. Cooper, Ed.). Hackett Publishing.
14. Plato. (2022). Republic (C. D. C. Reeve, Trans.). Hackett Publishing.
15. Rainey, L. D. (2010). Confucianism: An introduction. Wiley-Blackwell.
16. The New Encyclopaedia Britannica. (1988). Confucianism (Vol. 3, 15th ed.). Encyclopaedia Britannica Inc.
17. Thucydides. (1998). The Peloponnesian War (S. Lattimore, Trans.). Hackett Publishing Company.
18. Tsai, D. F. C. (2005). The bioethical implications of Confucian moral philosophy. Journal of Medical Ethics, 31(3), 159–163.
19. Wang, R. R. (2012). Yinyang: The way of heaven and earth in Chinese thought and culture. Cambridge University Press.
20. Wieger, L. (2007). A history of the religious beliefs and philosophical opinions in China. Cosimo Classics.
21. Wong, D. (2011). Daoist political philosophy and the ethics of Wu-Wei. Asian Philosophy, 21(1), 45–58.
22. Yeshe, L. T. L. (2001). The essence of Tibetan Buddhism: The three principal aspects of the path and an introduction to tantra. Lama Yeshe Wisdom Archive.
23. Yu, D. (2007). Confucianism: Development and modern transformation. Peking University Press.
24. Zhang, H., & Ren, J. (2003). On the ecological ethical thought of Chinese Buddhism [Doctoral dissertation, Central South University].
25-Zhao, T. (2019). Redefining A Universal Order: The Tianxia System. Humanities, 8(1), 1–12.